

الحلقة الثانية والأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تعلم مستمعي الأثر الكبير للناس عليك؟ وهل تعلم أننا نستطيع معرفة مستوى أخلاق شخص معين من مستوى أخلاق الناس الذين يعاشروهم؟ ولهذا جاء المثل القائل: «قل لي من تعاشر فأقول لك من أنت». فإذا كانت أخلاق من تعاشر جيدة كنا كذلك، أما إذا كانت فاسدة فهذا ينطبق علينا أيضاً. وهل تعلم مستمعي أن ذوي الأخلاق الفاسدة يؤثرن بشكل أكبر وأسرع على من يحيط بهم؟ ولهذا نجد أن رفقاء السوء لهم تأثير أكبر وأسرع على زملائهم، من الرفقاء ذوي الأخلاق الجيدة. ولهذا يُنصح الأهلون عندما يربوا أولادهم أن ينتبهوا جيداً لمن يعاشرون.

لقد تحدّث المخلص المسيح عن هذا الموضوع ولكن من زاوية أخرى. فهو تحدّث عن الأثر السيء لمعلّمي الدين الضالين. وكيف أن تعليمهم الفاسد لا بد أن يترك أثراً سيئاً على تابعيهم أو حتى سامعيهم. ودعا تلاميذه لكي يبتعدوا عنهم ويتجنبوهم. كتب البشير متى في بشارته قائلاً:

«وَلَمَّا جَاءَ تَلَامِيذُهُ - أَي تَلَامِيذُ الْمَسِيحِ - إِلَى الْعَبْرِ نَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزًا. وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «انظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ». فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنَّا لَمْ نَأْخُذْ خُبْزًا». فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَفَكَّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ أَنْكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟ أَحَتَّى الْآنَ لَا تَفْهَمُونَ؟ وَلَا تَذْكُرُونَ خَمْسَ خُبْزَاتِ الْخَمْسَةِ الْآلَافِ وَكَمْ فُقِّفَ أَخَذْتُمْ؟ وَلَا سَبْعَ خُبْزَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْآلَافِ وَكَمْ سَلًا أَخَذْتُمْ؟ كَيْفَ لَا تَفْهَمُونَ أَنِّي لَيْسَ عَنِ الْخُبْزِ قُلْتُ لَكُمْ أَنْ تَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ؟» حِينَئِذٍ فَهَمُّوا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْخُبْزِ، بَلْ مِنْ تَعْلِيمِ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ» (بشارة متى ١٦: ٥-١٢). سنأمل الآن بأقوال المسيح هذه.

صديقي المستمع، لقد ظنّ تلاميذ المسيح في البداية أن المسيح يحدّثهم عن الخبز لأنهم نسوا أن يجلبوه معهم. فويّخهم المسيح بسبب قلّة إيمانهم، لاسيما أنه قد أجرى أمام أعينهم مرتين عجيبة إطعام آلاف الجموع. وأفهمهم أن قصده هو أن يحدّزهم من تعليم الفريسيين والصدوقيين الباطل، وليس الحديث عن الخبز.

لقد كان الفريسيون والصدوقيون من حزبين مختلفين. فالفريسيون هم فئة يهودية متمتة تدّعي التمسك الحرفي بتطبيق شريعة الله، وكانوا يؤمنون بسلطان كل أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس، وبالقيامة من الأموات. أما الصدّقيون فقد كانوا يؤمنون بأسفار التوراة الخمسة فقط، ولا يؤمنون بوجود حياة بعد الموت. لكن الفئتين كما لاحظنا سابقاً، كانوا متفقين في معاداة المسيح، وكانوا يهاجمونه بشدة ويحاولون دائماً تجربته. ولهذا نجد أن المسيح حدّر تلاميذه من تعليمهم الباطل. وطلب منهم أن يتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين. أي ينتبهوا ويتجنبوا تعليمهم الباطل الفاسد.

لقد شبّه المسيح تعليم هؤلاء المعلّمين الفاسدين بالخميرة. فالخميرة توضع في العجين ليختمر، فيزداد حجمه. وتلزم خميرة صغيرة لتخمّر كمية كبيرة من العجين. وهكذا استخدم المسيح الخميرة مثلاً ليبين كيف أن شراً قليلاً يؤثر في عدد كبير من الناس. وأن تعليم الفريسيين والصدوقيين الخاطيء يضل الكثيرين.

واليوم ألا يوجد أمثال هؤلاء الفريسيين والصدوقيين؟ بالطبع، فهناك الكثيرون من المعلّمين وأدعياء التدين الذين ينشرون تعاليمهم الباطلة الفاسدة، ويحاولون أن يخدعوا الناس البسطاء بتعاليمهم الباطلة. فليس كل معلّم أو رجل للدين يصح أن نستمع لتعاليمه وفتاويه، وإلا وقعنا في الضلال. ولهذا علينا كمستمعين أن نفحص كل معلّم ورجل للدين، وهل هو يتكلّم الصواب وبحسب كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس؟ وعلينا أن نحذّر من التعاليم التي نسمعها، لكيلا نخدعنا ونقع بالتالي في هوة الضلال. وأن نعلم أن التعليم الفاسد لا بد أن يجرّنا إلى مهالك قاتلة، كالخميرة الصغيرة التي تخمّر العجين.

مستمعي الكريم، تحدّث الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عن هؤلاء المعلّمين الذين يخدعون الناس فقال: «أنظروا أن لا يكون أحدٌ يسبّحكم بالفلسفة وبغرورٍ باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح.. لأنّ مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلّماء» (كولوسي ٢: ٨، رومية ١٦: ١٨).

قد يبدو التعليم أو الكلام الذي نسمعه في أحيان كثيرة منمقاً وجميلاً وذا منطق واضح، لكن هذا لا يعني أنه يعبر عن الحقيقة التي يجب أن نعرفها. فالمعلم الباطل يجعل كلامه سلساً وحسناً لكي يخدع الناس السّماء أي البسطاء، وهدفه الحقيقي كما قال الرسول بولس هو خدمة نفسه. علينا إذن أن ننتبه لما نسمع من تعاليم وفتاوى حتى ولو كان قائلها خطيباً فصيحاً أو شيخاً مشهوراً في منصب عالٍ. فليس كل من يدّعي التدين يكون صالحاً، وليس كل من يتحدّث بتعاليم أو فتاوى، تكون تعاليمه وفتاواه صائبة وسليمة. وكم من رجل دين أضلّ الكثيرين بتعاليمه الباطلة.

لكن قد يسأل أحدهم: وكيف بنا نميّز التعليم الباطل الفاسد من التعليم الإلهي الصحيح؟ وللإجابة نقول: علينا أن نفحص إن كان هذا التعليم يوافق ما جاء في كلمة الله الحيّة بالكتاب المقدّس. فكيف نقبل تعليماً يقول أن المسيح لم يُصلب لفداء البشرية، أو أن المسيحيين هم كفرة لكونهم يؤمنون بالمسيح أنه ابن الله. هل تعلم متسمعي أننا عندما نستمع لأمثال هؤلاء المعلّمين المضلّين لا بدّ أن نتأثر بهم؟ ولهذا دعانا المخلّص المسيح لكي نتجنبهم وحدّنا من تعاليمهم الضالة. فهم كالخميرة التي تخمر العجين كله. وفي نفس الوقت علينا أن نقرأ الكتاب المقدّس وننهل من تعاليمه الإلهية الصادقة.

وعندما نقرأ الكتاب المقدس نعرف حقيقة نفوسنا الخاطئة، وكم نحن بحاجة إلى فداء المسيح لخطايانا. وعندما نؤمن بالمسيح الذي مات على الصليب ليكفّر عن ذنوبنا، ننال الغفران الكامل عنها، ونصبح من أولاد الله المبرّرين، ونحظى بالحياة الأبدية. فهل تراك مستمعي تؤمن بهذا المخلّص الفريد فتتال خلاص الله؟